معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 17, No. 1, (2021), pp. 125-145
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

DOI: https://doi.org/10.33102/jmqs.v17i1.279
Submission date: 24 March 2021
Accepted date: 19 April 2021

# آية الشهوات في سياق سورة آل عمران– دراسة بلاغية

# THE DESIRES VERSES IN THE CONTEXT OF SURAH AL IMRAN: A RHETORICAL STUDY

**Ahmed Abedalqader Hasan Qatanany**
Faculty of Quranic and Sunnah Studies, University Sains Islam Malaysia,71800, Bandar Baru Nilai, Negeri Sembilan.
E-mail: ahmadqatanany@usim.edu.my

## الملخص

تحدى الله الناس جميعا على أن يأتوا بسورة مثل سور القرآن أو من مثل سوره، فأعجزهم، ولما كان الإعجاز يتحقق في السورة وفي القطعة من السورة، فقد رأيت أن أختار قطعة من سورة تتحدث عن موضوع متصل، فيها عدد من الآيات مقارب لعدد أقصر السور؛ لبيان الإعجاز فيها من حيث الأسلوب والدلالة، واخترت الآيات التي تتحدث عن الشهوات لانتشارها وطغيانها في زماننا، والهدف من ذلك، لتكون دراستها بهذه الطريقة التي تجمع بين البلاغة والهداية داعية إلى التزهيد بها والتخفيف من حدتها. وقد خلص الباحث الذي استخدم المنهج التحليلي إلى نتائج مهمة، منها أن الجمع بين الأسلوب الذي يمتع العقل والعاطفة أقوى في التأثير وأدعى إلى التطبيق، وأن الله زين الشهوات وركزها في الطباع لإعمار الكون وابتلاء للناس، وأن القرآن ذكر أنواع الشهوات ورتبها مقدما الأخطر والأهم في أسلوب بياني بليغ، وأن ما عند الله من جنات وأزواج ورضوان خير منها، ومن أراد أن يهذب شهواته فليتخلق بصفات عباد الله المتقين الداعين الصابرين الصادقين القانتين المنفقين المستغفرين.

**الكلمات المفتاحية:** الشهوة، سياق القرآن، بلاغة القرآن، سورة آل عمران

## ABSTRACT

Allah has challenged people to bring a single chapter or a verse as like the Quran, but they were unable to bring any single of it. Since the miraculous nature of the Quran can be achieved in the *surah* and in the part of *surah*, I intend to discuss verses related to *shahawat* (desires or lust) in *Surah Al Imran* which a number of verses in this part is similar to the shorter *surah*. Yet, this selected topic of desires is significant in order to express its combination of rhetoric, guidance as well as mitigation. This study is a qualitative study and data collected through the methods of content analysis are thematically analysed using descriptive and analytical methods. Findings demonstrate that the combination approach between mind and emotion has stronger impact and preparing the ground for greater application. The beautification of the desire by Allah, which I

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 17, No. 1, (2021), pp. 125-145
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

maintain is to provide character building and affliction for people. The Quran describes many types of desire and arrange them depending on most alarming and most important in an eloquent expressive style that what belong to Allah like paradise, partnership, or contentment are greater. The Quran also stress whoever wants to refine his desires, let him practise the attributes of the pious servants of God characterised with patient, sincere, supplicants, and asking for forgiveness.

**Keywords**: Desires, Miracles of the Quran, Eloquence of the Quran, Surah Al Imran.

## 1. المقدمــة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن الله تعالى نزل القرآن على عبده ورسوله وحبيبه محمد معجزا فصيحا بليغا ، وأمرنا بتدبره والتفكر في آياته ومظاهر إعجازه وفصاحته وبلاغته ، قَالَ تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: 82]، وقال أيضا : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقَوْلَ﴾ [محمد: 24]، ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾[ص: 29]، وإن الله تعالى قد تحدى العرب جميعا فصحاءهم وبلغاءهم أن يأتوا بسورة من مثل هذا القرآن، فعجزوا وقعدوا قاصرين لا ينبسون ببنت شفة، بل إنه قرر وأكد أنه لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وهذا كلام من كان بعباده خبيرا بصيرا، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾[الملك: 14].

ولا ريب أن هذا التحدي كان أبرز مظهر فيه، هو الأسلوب البياني والبلاغي للقرآن الكريم، فبيانه سحرهم، وبلاغته أفحمتهم، وفصاحته أبهرتهم، ومن أجل ذلك عكف العلماء والمفسرون على استخراج أسراره ولآلئه ودرره، وكلما غاصوا وتعمقوا وجدوا من الكنوز ما لم يكونوا قد تنبهوا له من قبل. وإنني في هذه الدراسة المتواضعة أحاول جاهدا أن أقتفي أثرهم، وأن أسير على دربهم، مسترشدا منهم المنهج، ومستلهما منهم الطريق، راجيا من الله العون والسداد والتوفيق والقبول، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

**أهمية الدراسة**: تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تبحث في استخراج أسرار أعظم كتاب على وجه هذه البسيطة، ودلالاته البيانية والبلاغية؛ إذ إنها تبحث في شرح وتحليل الآيات من 14-17 من سورة آل عمران وتفسيرها تفسيرا بيانيا وبلاغيا، وقد اخترت هذه الآيات لما فيها من لفتات بيانية رائعة وإشارات بلاغية رائقة، ولأنها تتحدث عن موضوع بالغ الأهمية في واقعنا المعاصر، ألا وهو " الشهوات"، فيجتمع بذلك خيران ونوران وقوتان تجعل القلب يستقيم ويستكين: الأسلوب البياني البليغ المعجز، والهداية الحكيمة والتربية السليمة.

**أهداف الدراسة**: يهدف هذا البحث إلى:

أ- بيان الأسرار البلاغية، واللفتات البيانية، في هذه الآيات المباركات.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 17, No. 1, (2021), pp. 125-145
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

ب- التأكيد على إعجاز القرآن الكريم.

ت- بيان هداية القرآن وأسلوبه في الدعوة إلى تهذيب الشهوات.

**الدراسات السابقة:** لم يتطرق أحد – حسب علمي واطلاعي- إلى تخصيص دراسة هذه الآيات بيانيا وبلاغيا في بحث علمي مستقل، وإن تعرض لها المفسرون في ثنايا تفاسيرهم خاصة التي عنيت باللغة والبلاغة والبيان. ويتميز بحثي بأنه جمع شتات المادة العلمية من كتب التفسير في موضع واحد، إذ قد ترى مفسراً لفت نظره أمر ولم يلتفت إليه آخر، أو أن يكون غيره أتى بلفتة بيانية لم يتنبه لها البعض، كما أنه أجاب على جلّ الأسئلة البيانية والبلاغية الدقيقة التي يمكن أن تعترض فكر المتدبر للقرآن الكريم في هذه الآيات، وحاول الباحث إعمال فكره للإجابة عن بعض المسائل التي لم يُركز عليها سابقا، والترجيح في المسائل الأخرى التي تحتاج إلى ذلك.

**خطة البحث ومنهجه:** اجتهدت في تقسيم هذا البحث إلى أربعة نقاط بحسب عدد الآيات موضع الدراسة، ثم جعلت الجمل المترابطة في الآية الواحدة فروعا لتسهيل تناولها، سالكا المنهج التحليلي في تفسير الآيات موضع الدراسة، ويبدأ الباحث ببيان دقائق كل مبحث وتفصيلاته واحدا واحدا:

2. **التفسير البياني لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ في** هذه الآية المباركة من اللفتات البيانية والبلاغية ما يدهش الألباب، ويذهل العقول، ويمتع العقل والعاطفة معا، ويشرع الباحث ببيان تلك اللفتات والإشارات مقسما الآية إلى مقاطع تسهيلا لتناولها وترتيبا لأبوابها:

أ- **في بيان علاقة الآيات موضع الدراسة بما قبلها:** جاءت الآية الكريمة التي تحدثت عن الشهوات وأنواعها بعد الآية التي ذكر فيها الجهاد في سبيل الله، وهي قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾[آل عمران:13]، وأرى أن ذلك ليرشدنا الله سبحانه وتعالى إلى أن الإنسان المسلم لا يصحّ له أن يقدّم شهوات الدنيا على أوامر الله، وخاصة الجهاد في سبيل الله الذي يتطلب بذل الأرواح والأموال، ولا يستسهل هذا إلا رجل قدم أوامر الله على شهوات نفسه.

وثمة لفتة أخرى؛ هي أن الحرب تتطلب الانقطاع عن الأهل والأموال، فيجب أن لا تكون شهوات النفوس حاجزاً بين الإنسان المؤمن وبين الانطلاق إلى ربه، سواء أكانت شهوة النساء، أم شهوة البنين، أم شهوة المال؛ بل الذي ينبغي على المسلم أن يجاهد بنفسه وماله، ويشجع أولاده ونساءه على ذلك، وفي الصحابة والصحابيات رضوان الله عليهم نماذج يُقتدى بهم في هذا المجال.[1]

[1] الشعراوي، محمد متولي، (n.d)، *تفسير الشعراوي*، متبع أخبار اليوم، ج3، ص1314 – 1315. بتصرف.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 17, No. 1, (2021), pp. 125-145
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

وفي كيفية نظم هذه الآيات يقول الإمام الرازي: "إنه تعالى لما قال في الآية المتقدمة { والله يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاء إِنَّ فِي ذلك لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأبصار } ذكر بعد هذه الآية ما هو كالشرح والبيان لتلك العبرة وذلك هو أنه تعالى بيّن أنه زين للناس حب الشهوات الجسمانية، واللذات الدنيوية، ثم أنها فانية منقضية تذهب لذاتها، وتبقى تبعاتها، ثم إنه تعالى حث على الرغبة في الآخرة بقوله { قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مّن ذلكم } ثم بيّن أن طيبات الآخرة معدة لمن واظب على العبودية من الصابرين والصادقين إلى آخر الآية"[2]. فسبحان منزلها ما أحكمه!

**ب-** قوله تعالى:" **ٱىىبربزبم** ": في هذا المقطع لفتات رائعة لا بد من الإشارة لها:

**أولا**: الفعل(زيّن): مبني لما لم يُسَمَّ فاعله، فمن الذي قام بفعل التزيين؟ ولماذا بني الفعل للمفعول؟ اختلف العلماء في ذلك، فمنهم من قال: إن المزين هو الشيطان، وهو ظاهر قول الحسن البصري رحمه الله: من زينها؟ ما أحد أشد لها ذماً من خالقها. واستدلّوا بأربعة أمور وهي أن حب الشهوات مذموم، وهي مطلقة في الآية فيدخل فيها الشهوات المحرمة، واستدلّوا بأن حب كثرة المال مذموم، ولأنه جعل الشهوات من متاع الحياة الدنيا وهي مذمومة، ولأنه فضّل عليها ما أعدّه للمتقين يوم القيامة.[3]

ومنهم من قال: المزيّن هو الله، وهو ظاهر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الآن يا رب حين زينتها لنا، واحتجّوا بأن الله أباح الزينة والطيبات، وأنكر على من حرّم ذلك بقوله: ﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊﵋﵌﵍﵎﵏ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ[الأعراف: 32][4] ، فجعل إباحتها في الدنيا غير منافية لنيلها في الآخرة، ولأنها قد تكون وسائل للآخرة بتكثير النسل، وكثرة الصدقات والمبرات، والجهاد في سبيل الله، وتزيينها هو من باب الابتلاء، والله هو الذي يبتلي وليس الشيطان، كما قال تعالى: ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊﵋﵌﵍﵎﵏ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ[الكهف: 7]. وقالوا: مما يؤكد ذلك قراءة مجاهد و الضحّاك " زَيَّن للناس " على تسمية الفاعل.[5]

---

[2] الرازي، (n.d)، *التفسير الكبير*، تهران: دار الكتب العلمية، ج7، ص193.

[3] الطبري، 1978، *جامع البيان في تفسير القرآن*، بيروت: دار المعرفة، ج3، ص133. الرازي: *التفسير الكبير*، ج7، ص193 – 195. والقرطبي، 1967، *الجامع لأحكام القرآن*، القاهرة: دار الكتاب العربي، ج4، ص28. ورضا، محمد رشيد، 1990، *تفسير القرآن الحكيم (الشهير بتفسير المنار)*، ج3، ص238-239.

[4] الطبري، *جامع البيان في تفسير القرآن*، ج3، ص133. والرازي: *التفسير الكبير*، ج7، ص193 – 195. والقرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، ج4، ص28. ورضا: *تفسير القرآن الحكيم (الشهير بتفسير المنار)*، ج3، ص238–239.

[5] الدمياطي، 1989، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الشهير بالبنّاء، *اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر*، بيروت: دار الكتب العلمية، ص219.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 17, No. 1, (2021), pp. 125-145
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

ومنهم من فصّل بأن جعل الشهوات منها محمود ومذموم أو مباح ومحرم، وهو قول أبي عليّ الجبّائيّ والقاضي أبو بكر الباقلاني، فقالوا: إن الله زيّن القسم الأول، والشيطان زيّن القسم الثاني.[6]

ويرجح الباحث أن تزيين الشهوات الوارد في الآية هو من فعل الله تعالى؛ لقوة أدلته، وقد اختار هذا القول جمع من المفسرين القدماء والمحدثين، منهم الزمخشري، والفخر الرازي، وأبو حيان، وابن عاشور، ومحمد رشيد رضا، وسيد قطب، وسعيد حوّى وغيرهم.[7]

ويُرد على أدلة الفريق الأول بالآتي:

1) الشهوات ليست مذمومة لذاتها، فبدونها لا تقوم حياة، ولأنها قد تكون وسائل للآخرة.
2) تسميتها متاع الحياة الدنيا ليس ذماً لها؛ لأن خالق النساء والبنين والأموال هو الله، وقد خلقها للتمتع بها وفق منهجه، فهذا وصف للواقع.
3) قولهم إنه فضَّل على الشهوات ما أعده للمتقين يوم القيامة، فهذا صحيح، ولا مجال للمقارنة أصلاً، غير أنه ليس في هذا ذم للدنيا؛ بل تشويق للآخرة، وحث لجعل الدنيا مزرعة لها.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: " وغفل الجميع عن كون الكلام في طبيعة البشر، وبيان حقيقة الأمر في نفسه لا في جزئياته وأفراد وقائعه، فالمراد أن الله تعالى أنشأ الناس على هذا وفطرهم عليه، ومثل هذا لا يجوز إسناده إلى الشيطان بحال، وإنما يسند إليه ما قد يُعدّ هو من أسبابه كالوسوسة التي تزيّن للإنسان عملاً قبيحاً، ولذلك لم يسند القرآن إليه إلا تزيين الأعمال، ﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿ[الأنعام: 43].[8]

ويقول سيد قطب: " وصياغة الفعل للمجهول تشير إلى أن تركيبهم الفطري قد تضمن هذا الميل، فهو مُحبّب ومُزيّن .. وهذا تقرير للواقع من أحد جانبيه. ففي الإنسان هذا الميل إلى هذه الشهوات وهو جزء من تكوينه الأصيل لا حاجة إلى إنكاره ولا إلى استنكاره في ذاته ... والتعبير لا يدعو إلى استقذارها وكراهيتها؛ إنما يدعو فقط إلى معرفة طبيعتها وبواعثها، ووضعها في مكانها لا تتعداه، ولا تطغى على ما هو أكرم في الحياة وأعلى. والتطلع إلى آفاق أخرى بعد أخذ الضروري من تلك « الشهوات » في غير استغراق ولا إغراق! ".[9]

---

[6] الرازي، *التفسير الكبير*، ج7، ص195.

[7] الزمخشري، (n.d)، *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، بيروت: دار المعرفة، ج1، ص416. والرازي، *التفسير الكبير*، ج7، ص193–195. ورضا، *تفسير المنار*، ج3، ص238–239. وقطب، سيد، 1971، *في ظلال القرآن*، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج1، ص549. وحوى، سعيد، 1985، *الأساس في التفسير*، القاهرة: دار السلام، ج2، ص713.

[8] رضا: *تفسير المنار*، ج3، ص239.

[9] قطب، *في ظلال القرآن*، ج1، ص549.

معالم القرآن والسنة
MAʿALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 17, No. 1, (2021), pp. 125-145
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

لذلك، فمُزيّن الشهوات هو الله تعالى، زينها لحكم متعددة، منها: إعمار الكون والحياة، وجعلها وسيلة للتقرب إليه، وابتلاءً واختباراً ليعرف الصادق من الكاذب والبَرّ من الفاجر.

وقد سألت نفسي: إذا كان الله هو مزينها فلماذا لم يصرح بذلك؟ وبدأت أفكر بجواب، فاهتديت إلى رأي، وهو أن الله سبحانه علمنا منهجا في كتابه أن ننسب الخير له مطلقا، وأن لا ننسب الشر أو ما قد يقود إليه له سبحانه، فهاهو قد حكى على لسان إبراهيم : ﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳ[الشعراء: 80]، فلم ينسب المرض له على الرغم من أن الآية جاءت في سياق نسبة الخلق والهداية، والإطعام والسقاية، والإماتة والإحياء والمغفرة لله عز وجل، ولا ينكر مسلم أن النافع والضار هو الله تعالى، وأن المرض من عنده، لكن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم ينسبه إليه تأدبا مع الله جل جلاله، ويمكنني أن أقول هنا أيضا: إن الله أراد أن يعلمنا أن نتأدب معه سبحانه فلا ننسب له إلا ما يليق بجلاله، وسبب ذلك أن الشهوات كأنها سلاح ذو حدين، باطنه فيه الرحمة والخير لمن هذبها واستعملها وفق منهج الله، وظاهره من قبله العذاب لمن لم يلتزم حدود الله فيها، والله أعلم.

غير أني وجدت العلامة ابن عاشور رحمه الله التفت إلى ذلك السؤال، لكنه أضاف معنى غير الذي ذكرت، فقال: " وحذف فاعل التزيين لخفائه عن إدراك عموم المخاطبين، لأنّ ما يدل على الغرائز والسجايا، لما جُهل فاعله في متعارف العموم، كان الشأن إسناد أفعاله للمجهول: كقولهم عُني بكذا، واضْطُرّ إلى كذا، لا سيما إذا كان المراد الكناية عن لازم التزيين، وهو الإغضاء عمّا في المزيَّن من المساوي؛ لأنّ الفاعل لم يبق مقصوداً بحال، والمزيّنُ في نفس الأمر هو إدراك الإنسان الذي أحبّ الشهواتِ ، وذلك أمر جبليٌّ جعله الله في نظام الخلقة."[10] وما ذكره ابن عاشور تعليل لطيف، فإذا أضيف هذا إلى ذاك، كان حذف الفاعل أليق بالسياق، وأدعى إلى بناء الفعل للمفعول .

**ثانيا:** قوله: " للناس"، فهي لإفادة العموم، والاستغراق، ولبيان الجنس كذلك. يقول الرازي : " ثم إنه تعالى أضاف ذلك إلى الناس، وهو لفظ عام دخله حرف التعريف فيفيد الاستغراق، فظاهر اللفظ يقتضي أن هذا المعنى حاصل لجميع الناس، والعقل أيضاً يدل عليه، وهو أن كل ما كان لذيذاً ونافعاً فهو محبوب ومطلوب لذاته".[11]

ويقول الألوسي :" والمراد من (الناس) الجنس "[12]، وهذا يدل على أن الناس سواء في ذلك، مؤمنهم وكافرهم، لئلا يتوهم بعض أهل الإيمان أن هذا التزيين للكافرين فقط، بل هو للجميع، غير أن المؤمن يفرغ شهوته ويقضي وطره بالحلال، وأما الكافر فلا يتورع عن شيء، ولا يتبين الحلال من الحرام في تصرفاته.

---

[10] ابن عاشور،محمد الطاهر، 1997، *تفسير التحرير والتنوير*، تونس: دار سحنون، ج3، ص37.

[11] الرازي، *التفسير الكبير*، ج7، ص196.

[12] الألوسي، (n.d)، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، بيروت: دار أحياء التراث العربي، ج2، ص96.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 17, No. 1, (2021), pp. 125-145
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

**ثالثا:** قوله: " حب الشهوات "، وهنا سؤال دقيق– وهو لماذا قال تعالى : " زين للناس حب الشهوات" ولم يقل : زين للناس الشهوات؟ تنبه المفسرون لدلالة اللفظ في هذه الآية، فقال الرازي: "الشهوات ههنا هي الأشياء المشتهيات سميت بذلك على الاستعارة للتعلق والاتصال، كما يقال للمقدور قدرة، وللمرجو رجاء، وللمعلوم علم، وهذه استعارة مشهورة في اللغة، يقال : هذه شهوة فلان، أي مشتهاه."[13] وقال صاحب «الكشاف» : "جعل الأعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصاً على الاستمتاع بها. والوجه أن يقصد تخسيسها فيسميها شهوات، لأن الشهوة مسترذلة عند الحكماء، مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية ".[14]

وأما الألوسي فقد أفاد معنى جديدا فقال: "{ حُبُّ الشهوات } أي المشهّيات وجعلها نفس الشهوات إشارة إلى ما ركز في الطباع من محبتها والحرص عليها حتى كأنهم يشتهون اشتهاءها كما قيل لمريض: ما تشتهي؟ فقال : أشتهي أن أشتهي".[15]

من خلال ما سبق يتبين السر في تسميتها شهوات، فذلك لتوضيح مبالغة الناس في تعاطيها، وبيان المطلوب منهم إزاء ذلك وهو تهذيبها وضبطها.

فلماذا علق التزيين بحب الشهوات وليس بالشهوات نفسها؟ هذا يقود إلى التفريق بين الحب والشهوة، يقول الفخر الرازي في تفسيره: " قال المتكلمون : دلت هذه الآية على أن الحب غير الشهوة؛ لأنه أضاف الحب إلى الشهوة، والمضاف غير المضاف إليه ".[16]

ويفرق أبو هلال العسكري في كتابه: " الفروق في اللغة" بين المحبة والشهوة فيقول: " الشهوة توقان النفس وميل الطباع إلى المشتَهى، وليست من قبيل الإرادة ، والمحبة من قبيل الإرادة، ونقيضها البغضة، ونقيض الحب البغض، والشهوة تتعلق بالملاذ فقط، والمحبة تتعلق بالملاذ وغيرها ".[17]

من خلال ما ذكر يمكن الاستنتاج بأنه ثمة فرقان أساسيان بين الشهوة والمحبة، فالأول: أن الشهوة جِبِلّية، والمحبة إرادية، وبذلك قد يشتهي إنسان أموراً لا يحبها، وقد يحب أموراً لا يشتهيها، ثم إنه يملك أن يحب الشيء أو يبغضه، لكن الأمر في الشهوة ليس كذلك.

---

[13] الرازي، *التفسير الكبير*، ج7، ص196.

[14] الزمخشري، *الكشاف*، ج1، ص416.

[15] الألوسي، *روح المعاني*، ج2، ص97.

[16] الرازي، *التفسير الكبير*، ج7، ص195.

[17] العسكري، *الفروق في اللغة، القاهرة: دار عالم والثقافة للنشر والتوزيع*، ص115.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 17, No. 1, (2021), pp. 125-145
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

والثاني: أن الشهوة تتعلق بالملاذ؛ من نساء وبنين وأموال، والمحبة تتعلق بها وبغيرها؛ لذا يستطيع الإنسان أن يقول: أحب النساء أو البنين أو المال، ويمكنه القول : أشتهي النساء أو البنين أو المال، غير أنه يستطيع أن يقول :إني أحب الله والرسول ووالدي وإخواني، ولا يملك أن يقول: أشتهي أحداً من هؤلاء.

ولما كانت المحبة غير الشهوة بين ابن عاشور رحمه الله سبب تعليق التزيين بالحب فقال: " وتعليقُ التزيين بالحبّ جرى على خلاف مقتضى الظاهر؛ لأنّ المزيَّن للناس هو الشهواتُ ، أي المشتهيات نفسها، لا حبُّها، فإذا زُينت لهم أحَبُّوها؛ فإنّ الحبّ ينشأ عن الاستحسان، وليس الحبّ بمزيَّن، وهذا إيجاز يغني عن أن يقال زينت للناس الشهوات فأحبّوها، وقد سكت المفسّرون عن وجه نظم الكلام بهذا التعليق. والوجه عندي إمّا أن يجعل { حبّ الشهوات } مصدراً نائباً عن مفعول مطلق، مبيّناً لنوع التزيين : أي زيّن لهم تزيين حب، وهو أشدّ التزيين، وجُعل المفعول المطلق نائباً عن الفاعل، وأصل الكلام : زُيّن للناس الشهواتُ حُبّاً، فحُوِّل وأضيف إلى النائب عن الفاعل، وجعل نائباً عن الفاعل، كما جعل مفعولاً في قوله تعالى : { فقال إنّي أحببت حُبّ الخير عن ذكر ربي }. وإما أن يجعل حبّ مصدراً بمعنى المفعول، أي: محبوبُ الشهوات أي: الشهوات المحبوبة. وإمّا أن يجعل زُيّن كناية مراداً به لازم التزيين وهو إقبال النفس على ما في المزيَّن من المستحسنات مع ستر ما فيه من الأضرار، فعبّر عن ذلك بالتزيين، أي تحسين ما ليس بخالص الحسن فإنّ مشتهيات الناس تشتمل على أمور ملائمة مقبولة، وقد تكون في كثير منها مضارّ، أشدُّها أنّها تشغل عن كمالات كثيرة، فلذلك كانت كالشيء المزيَّن تغطَّى نقائصه بالمزيّنات، وبذلك لم يبق في تعليق زيّن بحُب إشكال".[18]

ونقل الرازي في تفسيره قولا ينبغي ذكره هنا لمناسبته المقام، وهو:" قال الحكماء: الإنسان قد يحب شيئاً ولكنه يحب أن لا يحبه، مثل المسلم فإنه قد يميل طبعه إلى بعض المحرمات لكنه يحب أن لا يحب، وأما من أحب شيئاً وأحب أن يحبه فذاك هو كمال المحبة، فإن كان ذلك في جانب الخير فهو كمال السعادة، كما في قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام { إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الخير } ومعناه أحب الخير وأحب أن أكون محباً للخير، وإن كان ذلك في جانب الشر، فهو كما قال في هذه الآية، فإن قوله { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشهوات } يدل على أمور ثلاثة مرتبة أولها : أنه يشتهي أنواع المشتهيات وثانيها : أنه يحب شهوته لها، وثالثها: أنه يعتقد أن تلك المحبة حسنة وفضيلة، ولما اجتمعت في هذه القضية الدرجات الثلاثة بلغت الغاية القصوى في الشدة والقوة، ولا يكاد ينحل إلا بتوفيق عظيم من الله تعالى.[19]

---

[18] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، ج3، ص38.

[19] الرازي، *التفسير الكبير*، ج7، ص199.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 17, No. 1, (2021), pp. 125-145
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

ت- **قوله تعالى: " من النساء والبنين "**، وفي هذا المطلب جواب أربعة أسئلة، أولها: ما معنى حرف الجر "مِن"، ثانيها: ما سبب تقديم النساء ثم التثنية بالبنين، ثالثها: -وهو دقيق- لماذا ذكرت شهوة الرجال للنساء ولم تذكر شهوة النساء للرجال، ولماذا ذكر البنين ولم يذكر البنات ؟

**أولا**: معنى حرف الجر"مِن" : ذكر علماء التفسير أن معنى (من) هنا تفسيرية أو بيانية، فإما أن يفيد تفسير ما قبله وبيانه، إذ عدد الشهوات ثم شرع يبينها، أو يبين جنسها، قال الألوسي:" { مِنَ النساء والبنين } في محل النصب على الحال من الشهوات، وهي مفسرة لها في المعنى، وقيل : { مِنْ } لبيان الجنس".[20]

ورجح الرازي ما أخّره الألوسي فقال: "{ مِنْ } في قوله { مِنَ النساء والبنين } كما في قوله { فاجتنبوا الرجس مِنَ الأوثان } [ الحج : 30 ] فكما أن المعنى فاجتنبوا الأوثان التي هي رجس فكذا أيضاً معنى هذه الآية : زين للناس حب النساء وكذا وكذا التي هي مشتهاة"[21]. ولا مانع من إرادة المعنيين، فهما قريبان.

**ثانيا**: تقديم النساء، فقد بدأت الآية بالنساء؛ " لأن الالتذاذ بهنّ أكثر، والاستئناس بهنّ أتم"[22]، " والفتنة بهنّ أشدّ "[23]. وفي الحديث: " مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ"[24]. وثنى بالبنين لأنهم من ثمرات النساء، ولله تعالى في إيجاد حب الزوجة والولد في قلب الإنسان حكمة بالغة، فإنه لولا هذا الحب لما حصل التوالد والتناسل ولأدى ذلك إلى انقطاع النسل، وهذه المحبة كأنها حالة غريزية ولذلك فإنها حاصلة لجميع الحيوانات، والحكمة فيه ما ذكرنا من بقاء النسل.[25]

**ثالثا**: وأما لماذا لم يذكر شهوة النساء للرجال، مع أن االنساء يشتهين الرجال أيضاً، والدليل فعل امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام، إذ شغف قلبها حبا، وفي ذلك يقول ابن عاشور:" ولم يُذكر الرجالُ؛ لأنّ ميل النساء إلى الرجال أضعف في الطبع، وإنّما تحصل المحبّة منهن للرجال بالإلف والإحسان".[26]

---

[20] الألوسي، *روح المعاني*، ج2، ص97.

[21] الرازي، *التفسير الكبير*، ج7، ص201.

[22] الرازي، *التفسير الكبير*، ج7، ص195.

[23] ابن كثير، 1969، *تفسير القرآن العظيم*، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج2، ص19.

[24] البخاري، 2003، *صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة*، حديث رقم 5096، مصر: مكتب الايمان، ص1085. ومسلم، 2001، *صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء و أكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء*، حديث رقم 6840،6841، بيروت: دار الفكر، ص1342.

[25] الرازي، *التفسير الكبير*، ج7، ص201.

[26] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، ج3، ص38.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 17, No. 1, (2021), pp. 125-145
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

ويرى الباحث أن القرآن الكريم ذكر شهوة الرجال للنساء من باب التغليب، والمقصود في الحقيقة شهوة الجنس؛ ولعل العدول عن ذلك سببه حفظ مكانة المرأة؛ إذ الغالب أن تكون مطلوبة لا طالبة، ولذلك فإن امرأة العزيز نزلت مكانتها عند نسوة المدينة لأنها كانت هي المبادرة. وكذلك للحفاظ على مشاعر المرأة وإحساسها؛ إذ لما كانت هي المطلوبة، وقد لا يطرق بابها أحد، أو يتأخر ذلك، فقد راعى القرآن إحساس المرأة المرهف، وفي ذلك حفظ لأخلاقها وعفتها. والله أعلم

**رابعا**: وخصّ البنين بالذِّكر ولم يتعرض لذكر البنات؛ لعدم الاطراد في حبهن، أو من باب التغليب أيضا؛ لأن وجه التمتع بالذكور ظاهر من حيث السرور والتكثر بهم إلى غير ذلك.[27]

ومما يلفت الانتباه أنه سبحانه قدم ذكر البنين على الأموال في هذه الآية، مع أنه سبحانه قدم الأموال على الأولاد في آيات كثيرة، وفي هذا يقول أبو حيان الأندلسي: "ولما كان المال في باب المدافعة والتقرب والفتنة أبلغ من الأولاد، قدم في هذه الآية (يقصد : إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) ، وفي قوله : { وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى } وفي قوله : { إنما أموالكم وأولادكم فتنة } وفي قوله : { وتكاثر في الأموال والأولاد } وفي قوله : { لا ينفع مال ولا بنون } بخلاف قوله تعالى : { زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة } إلى آخرها، فإنه ذكر هنا حب الشهوات، فقدّم فيه النساء والبنين على ذكر الأموال".[28]

فشهوة البنين من حيث هي شهوة أقوى من شهوة المال، ولذلك تجد من ابتلاه الله بعقم أو ضعف شديد في جهازه التناسلي يبذل مالا كثيرا، بل ربما كل ما يملك من مال في محاولة منه أن يُرزق ولدا، وقد يضحي الإنسان بكل ما يملك من أجل علاج ابنه المريض، ولو خيّر أيّ أب أو أم بين أبنائه أو أمواله فسيختار الأبناء قطعا، ولذلك قدموا هنا. أما حين توفر الأموال ووجود الأولاد معا عند الإنسان، فإنه يقدم المال عليهم، تكاثرا وتفاخرا، والمال يُخاف من فواته كل يوم دون الأولاد، ولذلك كانت فتنته أشد.

**ث– قوله تعالى: "والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث"**

**أولا**: معنى " القناطير المقنطرة"، المقصود ها هنا الأموال الكثيرة، وليس مجرد حب المال، ويدل على ذلك تعبير القرآن، فالقنطار اسم للكثير من المال – بغض النظر عن اختلاف العلماء في تحديد مقداره – فإذا جاء بصيغة الجمع

[27] الرازي، *التفسير الكبير*، ج7، ص201. والألوسي، *روح المعاني*، ج2، ص97. ورضا، *تفسير المنار*، ج3، ص241.

[28] أبو حيان الأندلسي، 2007، *البحر المحيط*، ج2، ص414.

معالم القرآن والسنة
MAʿALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 17, No. 1, (2021), pp. 125-145
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

" القناطير " وأضيف إليها " المقنطرة "، أفاد التأكيد والتضعيف والمبالغة، كقولك ألوف مؤلفة ، وأضعاف مضاعفة[29]. يقول سيد قطب في بيان التصوير الفني للآية: "ونهم المال هو الذي ترسمه { القناطير المقنطرة } ولو كان يريد مجرد الميل إلى المال لقال: والأموال. أو والذهب والفضة. ولكن القناطير المقنطرة تلقي ظلاً خاصاً هو المقصود، ظل النهم الشديد لتكديس الذهب والفضة؛ ذلك أن التكديس ذاته شهوة، بغض النظر عما يستطيع المال توفيره لصاحبه من الشهوات الأخرى".[30]

**ثانيا:** " من الذهب والفضة"، معنى حرف الجر هنا كما في قوله :" من النساء والبنين"، فيغني عن الإعادة. وأما تخصيص ذكر الذهب والفضة فلأنهما جعلا ثمن جميع الأشياء، فمالكهما كالمالك لجميع الأشياء، وصفة المالكية هي القدرة، والقدرة صفة كمال، والكمال محبوب لذاته، فلما كان الذهب والفضة أكمل الوسائل إلى تحصيل هذا الكمال، لا جرم كانا محبوبين.[31]

**ثالثا:** " والخيل المسومة والأنعام والحرث"، والخيل: مشتق من الخيلاء مثل طائر وطير، وقال قوم : لا واحد له من لفظه بل هو اسم جمع واحده فرس، ومعنى المسوّمة: أي الراعية قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في إحدى الروايات عنه فهي من سوم ماشيته إذا أرسلها في المرعى، أو المطهمة الحسان قاله مجاهد فهي من السيما بمعنى الحسن، أو المعلمة ذات الغرة والتحجيل قاله عكرمة فهي من السمة أو السومة بمعنى العلامة[32]. والأولى أن يجمع بين الأقوال جميعا فلا مانع أن تكون جميع المعاني مقصودة، وهذا من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، ومن عظيم روعة القرآن أنه يذكر لفظا واحدا ليدل على معاني متعددة، وهذا أبلغ معاني الإيجاز والإعجاز.

قال ابن عاشور لافتا النظر إلى جمال الخيل في كل عصر رغم كل ما حصل من تقدم في أيامنا هذه : "والخيل محبوبة مرغوبة، في العصور الماضية وفيما بعدها، لم يُنسها ما تفنّن فيه البشر من صنوف المراكب برّاً وبحراً وجوّاً، فالأمم المتحضّرة اليوم مع ما لديهم من القطارات التي تجري بالبخار وبالكهرباء على السكك الحديدية، ومن سفائن البحر العظيمة التي تسيّرها آلات البخار، ومن السيّارات الصغيرة المسيّرة باللوالب تحرّكها حرارة النفط المصفّى، ومن الطيّارات في الهواء ممّا لم يبلغ إليه البشر في عصر مضى، كلّ ذلك لم يغن الناس عن ركوب ظهور الخيل، وجرّ العربات بمطهّمات الأفراس، والعناية بالمسابقة بين الأفراس".[33]

---

[29] الطبري، *جامع البيان في تفسير القرآن*، ج3، ص133-135. وابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، ج1، ص351.

[30] قطب، *في ظلال القرآن*، ج1، ص549.

[31] الرازي، *التفسير الكبير*، ج7، ص201. بتصرف.

[32] الألوسي، *روح المعاني*، ج2، ص98. بتصرف.

[33] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، ج3، ص39.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 17, No. 1, (2021), pp. 125-145
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

ثم ذكر الأنعام وقال:هي زينة لأهل الوبر قال تعالى : { ولكم فيها جَمال حين تريحون وحين تسرحون } [ النحل : 6 ]. وفيها منافع عظيمة أشار إليها قوله تعالى : { والأنعامَ خلقها لكم فيها دفء } الآيات في سورة [ النحل : 5 ]، وقد لا تتعلّق شهوات أهل المدن بشدّة الإقبال على الأنعام لكنّهم يحبّون مشاهدها، ويُعنَون بالارتياح إليها إجمالاً.[34]

وأما الحرث والزرع، فغنيّ عن الذكر كونه مشتهى، فلا يملك أحد نفسه عندما ينظر إلى الحدائق والبساتين والجنان والمزروعات، ويمتع بصره بأنواع الزهور والورود والأشجار والنباتات، إلا أن يقول: سبحان الله، ما شاء الله!، ولذلك قال المؤمن لصاحب الجنتين:" ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله".

ومن نافلة القول ما قال العلماء: " ذكر الله تعالى أربعة أصناف من المال، كل نوع من المال يتمول به صنف من الناس، أما الذهب والفضة فيتمول بها التجار، وأما الخيل المسومة فيتمول بها الملوك، وأما الأنعام فيتمول بها أهل البوادى، وأما الحرث فيتمول بها أهل الرساتيق".[35]

والذي يظهر لي أن ما ذكر يعد أمثلةً وأنواعاً من المال، فقد يوجد غيرها عند بعض الأقوام مثل الحُلَل، والأوراق النقدية وغيرها، وإنما ذكرها لانتشارها وكثرة التعامل بها عند الناس خاصة في ذلك الزمان. وكذلك الشهوات الثلاثة التي ذكرتها الآية فليس ذلك لحصرها، وإنما لشدة خطرها وفتكها بالناس، ولكونها الأكثر شهرة وانتشاراً، فقد يوجد غيرها؛ مثل شهوة الجاه، والخلد، والملك، وشهوة البطن، وغيرها، ومن منهج القرآن أنه يدل على الأهم أو الأساس، ويترك الفروع والتفصيلات للسنة أو للعلماء والباحثين، يتدبرون ويستنبطون ويتفكرون ويستخرجون.

ج- **قوله تعالى:" ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب"**، بعد أن ذكر الله تعالى الشهوات بأنواعها، أعلمنا أن تلك الشهوات ما هي إلا متاع قليل زائل إذا قورن بما عند الله، ولذلك جاء اسم الإشارة مفردا مع أن الشهوات جمع، وفي ذلك يقول الزمخشري: " ذلِكَ مَتَاعُ الْحَياةِ الدُّنْيَا أشار ب"ذلك" وهو مفرد إلى الأشياء السابقة وهي كثيرة... والمعنى تحقير أمر الدنيا والإشارة إلى فنائها وفناء ما يستمتع به فيها، وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ أي المرجع وهو إشارة إلى نعيم الآخرة الذي لا يفنى ولا ينقطع".[36]

---

[34] المرجع نفسه، ص39.

[35] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، ج4، ص35. ومعنى الرساتيق: السواد والقرى أو البساتين.

[36] الزمخشري، *الكشاف*، ج1، ص416.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 17, No. 1, (2021), pp. 125-145
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

وفي هذا المقام لفتة بيانية جميلة ذكرها الإمام الألوسي في تفسيره، وهي إعادة ذكر لفظ الجلالة، على اعتبار ما يرجحه من أن المزين هو الله تعالى، وعبّر عنها بتكرير الإسناد فقال:" وفي تكرير الإسناد إلى الاسم الجليل زيادة تأكيد وتفخيم ومزيد اعتناء بالترغيب فيما عند الله تعالى من النعيم المقيم والتزهيد في ملاذ الدنيا السريعة الزوال".[37]

**3. التفسير البياني لقوله تعالى:** ﴿أُؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد﴾

**أ- قوله تعالى:" قل أؤنبئكم بخير من ذلكم"**

**أولا:** علاقة الآية بالتي قبلها: لما ذكر الله تعالى أن تلك الشهوات هي متاع الحياة الدنيا، ثم أخبر عباده المؤمنين أنه عنده حسن المآب، قال :" ﴿خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح..." فقابل بين شهوات الدنيا وجزائه في الآخرة(الجنات، والأزواج المطهرة، ورضوان الله ).

يقول سيد قطب: " وفي هذا المتاع النظيف العفيف عوض كامل عن متاع الدنيا، وفيه زيادة؛ فإذا كان متاعهم في الدنيا حرثاً معطياً مخصباً، ففي الأخرى جنات كاملة تجري من تحتها الأنهار، وهي فوق هذا خالدة وهم خالدون فيها. لا كالحرث المحدود الميقات. وإذا كان متاعهم في الدنيا نساء وبنين ففي الآخرة أزواج مطهرة. وفي طهارتها فضل وارتفاع على كل شهوات الأرض في الحياة. فأما الخيل المسوّمة والأنعام، وأما القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، فقد كانت في الدنيا وسائل لتحقيق متاع، فأما في نعيم الآخرة فلا حاجة إلى الوسائل لبلوغ الغايات. ثم هناك ما هو أكبر من كل متاع .. هنالك " رضوان من الله ". " رضوان " .. بكل ما في لفظه من نداوة ، وبكل ما في ظله من حنان".[38]

**ثانيا:** الاستئناف والاستفهام في الآية: عبر الله تعالى بهذه الجملة الاستفهامية المستأنفة المبدوءة بكلمة "قل" من الآية السابقة للتشويق والترغيب والاهتمام، فما أن يسمع المؤمن قوله: أؤنبئكم بخير من ذلكم؟ تجده يجيب مباشرة بقلبه ولسانه: نعم يا رب، نعم يا رب. يقول ابن عاشور عن هذا المقطع من الآية: " استئناف بياني، فإنّه نشأ عن قوله : { زين للناس } المقتضي أنّ الكلام مسوق مساق الغضّ من هذه الشهوات. وافتتح الاستئناف بكلمة { قل } للاهتمام بالمقول، والمخاطب بقل النبي صلى الله عليه وسلم، والاستفهام للعرض تشويقاً من نفوس المخاطبين إلى تلقّي ما سيقصّ عليهم كقوله تعالى : ﴿أُنبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾[الصف: 10].[39]

---

[37] الألوسي، *روح المعاني*، ج2، ص98.

[38] قطب، *في ظلال القرآن*، ج1، ص552.

[39] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، ج3، ص40.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 17, No. 1, (2021), pp. 125-145
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

وفي الآية أيضا تشريف الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وهو أنه لما قال الله : "زين للناس " عبر بضمير الغائب، أما هنا فعدل إلى خطاب المؤمنين تشريفا لهم وتعظيما.[40]

**ثالثا:** لماذا أفرد اسم الإشارة ؟ .. في الآية السابقة قال تعالى: " ذلك متاع الحياة الدنيا"، وفي هذه قال أيضا " قل أؤنبئكم بخير من ذلكم" فاسم الإشارة مفرد في كلتا الآيتين، وهذا من باب التناسق والترابط.

قال صاحب البحر المحيط: "ولما قال: ذلك متاع، فأفرد، جاء: بخير من ذلكم، فأفرد اسم الإشارة، وإن كان هناك مشاراً به إلى ما تقدّم ذكره، وهو كثير. فهذا مشار به إلى ما أشير بذلك"[41]. إلا أن الثانية فيها ميم الجماعة؛ لأن الله فيها يخاطب جماعة المؤمنين.

**رابعا:** لماذا قال "أنبئكم" ولم يقل "أخبركم" ؟ ..لا ترادف في القرآن الكريم، بل لا ترادف في اللغة العربية– هذا هو المذهب الراجح عند العلماء المحققين، ولذلك ألف العسكري كتابه العظيم "الفروق اللغوية" – ولذلك فدلالة النبأ تختلف عن دلالة الخبر، فالنبأ لا يكون إلا حقا وصدقا، وليس كذلك الخبر فهو يحتمل الصدق والكذب، والنبأ الخبر الذي له شأن عظيم، والنبأ لا يكون إلا للإخبار بما لا يعلمه المخبر[42] ، من هذه الفروق بين النبأ والخبر يتبين سر استعمال القرآن الكريم لكلمة النبأ في هذه الآية ، فما يريد الله إنباءه للمؤمنين هو حق لا لبس فيه، وصدق لا كذب فيه، وهو أمر عظيم؛ لأن فيه فوزهم وفلاحهم، وبيان مآلهم ومستقرهم، ونتيجة صبرهم وجهادهم، وإحلال الرضوان عليهم، وهذه الأمور لم يكن يعلمها المؤمنون لولا إعلام الله لهم إياها.

**ب– قوله تعالى:" للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها"**

هذه الآية كلام مستأنف، فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم، كما تقول: هل أدلك على رجل عالم؟ عندي رجل صفته كيت وكيت"[43]. وقد نبه الألوسي للفتات هذه الجملة من الآية، وسبب تخصيص المتقين بالأجر فقال: " وفي ذكر ذلك إشارة إلى علو رتبة الجنات ورفعة شأنها، وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المتقين إيذان بمزيد اللطف بهم، والمراد منهم المتبتلون إليه تعالى المعرضون عمن سواه كما ينبيء عن ذلك الأوصاف الآتية، وتعليق حصول الجنات وما يأتي بعد بهذا العنوان للترغيب في تحصيله والثبات عليه"[44].فما أعظمه من تشريف

---

[40] أبا حيان، *البحر المحيط*، ج2، ص414.

[41] المرجع نفسه، ص414.

[42] العسكري، *الفروق في اللغة*، ص528.

[43] الزمخشري، *الكشاف*، ج1، ص417.

[44] الألوسي، *روح المعاني*، ج2، ص99.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 17, No. 1, (2021), pp. 125-145
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

أن تكون الجنات العالية هي المنزل والمستقر عند ربنا اللطيف الودود، وما أعلاه من مقام، لا يبلغه إلا من يجاهد نفسه ويستعلي على شهواته، فنسأله تعالى أن يعيننا على التخلق بصفة التقوى لنتحصل على تلك الجنات.

وقال: "للذين اتقوا" ولم يقل "للمتقين" فأشعر فيها أن الصفة تحققت فيهم واستمروا عليها فوعدهم الله جنته إذا ما ماتوا على ذلك.

وفي جمع (جنات) وتنكيرها: التفخيم والتعظيم والتعميم والتكثير.

والتعبير بتجري من تحتها الأنهار كثير في القرآن، ومعناه كما قال ابن كثير في تفسير الآية (24) من سورة الحج: "أي: تتخرَّقُ في أكنافها وأرجائها وجوانبها، وتحتَ أشجارها وقصورها، يَصرِفونها حيث شاؤوا، وأين شاؤوا"[45]. ولا ريب أن هذا الوصف فيه من الترغيب ما فيه.

وقال خالدين فيها للدلالة على أن الحياة الحقيقية هي حياة الخلود في الآخرة الباقية، وأن الشهوات في الدنيا زائلة فانية، فهي التي ينبغي أن يبذل لها الغالي والنفيس.

**ت– قوله تعالى: " وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد"**

**أولا**: " وأزواج مطهرة": لا ريب أن الزوجة الصالحة من أعظم النعم في الدنيا، فكيف إن كانت في الجنة وصفتها أنها مطهرة! يقول الرازي: " ثم وصف الأزواج بصفة واحدة جامعة لكل مطلوب، فقال: مُّطَهَّرَةٍ ويدخل في ذلك : الطهارة من الحيض والنفاس وسائر الأحوال التي تظهر عن النساء في الدنيا مما ينفر عنه الطبع، ويدخل فيه كونهن مطهرات من الأخلاق الذميمة ومن القبح وتشويه الخلقة، ويدخل فيه كونهن مطهرات من سوء العشرة" [46]. وكل ذلك زيادة في الترغيب في النبأ الذي هو خير من تلك الشهوات.

**ثانيا**: "ورضوان من الله": وهذه الصفة هي منتهى غاية المريدين والسالكين إلى الله، ويا فوز من سعد برضوان الله تعالى في الدنيا والآخرة. يقول الألوسي: { مِنَ الله } صفة لرضوان مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة[47]. وفي هذه الآية الانتقال من عال إلى أعلى منه، فقد بدأ أولاً بذكر المقر، وهو الجنات ثم انتقل من ذكرها إلى ذكر ما يحصل به الأنس التامّ من الأزواج المطهرة، ثم انتقل من ذلك إلى ما هو أعظم الأشياء وهو رضا الله عنهم، فحصل بمجموع ذلك اللذة الجسمانية والفرح الروحاني، حيث علم برضا الله عنه ، كما جاء في الحديث أنه تعالى : « يسأل أهل الجنة هل رضيتم؟ فيقولون : ما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟

---

[45] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، ج5، ص408.

[46] الرازي، *التفسير الكبير*، ج7، ص202.

[47] الألوسي، *روح المعاني*، ج2، ص99.

معالم القرآن والسنة
MAʿALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 17, No. 1, (2021), pp. 125-145
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا »[48]، ولذلك جاء في سورة براءة بعد أن ذكر تعالى الجنات والمساكن الطيبة فقال : { ورضوان من الله أكبر } يعنى أكبر مما ذكر من الجنات والمساكن.[49]

"وأظهر اسم الجلالة في قوله : { ورضوان من الله } ، دون أن يقول ورضوان منه أي من ربّهم : لما في اسم الجلالة من الإيماء إلى عظمة ذلك الرضوان".[50]

**ثالثا:** "والله بصير بالعباد"، وهذه الفاصلة القرآنية تضمنت الوعد والوعيد، فالعباد إما أن يكونوا محسنين فهو بصير بهم يجازيهم على أعمالهم، وإما أن يكونوا مسيئين فهو بصير بهم أيضا فليحذروا منه ومن معصيته[51]. ومن ناحية أخرى يمكن أن يفهم من قوله تعالى : { والله بَصِيرٌ بالعباد }" أي عالم بمصالحهم، فيجب أن يرضوا لأنفسهم ما اختاره لهم من نعيم الآخرة، وأن يزهدوا فيما زهدهم فيه من أمور الدنيا".[52]

وأما عن إعادة ذكر لفظ الجلالة مرة ثالثة، فلمح ابن عاشور ملمحا دقيقا فقال:" وإظهار اسم الجلالة في قوله : { والله بصير بالعباد } لقصد استقلال الجملة لتكون كالمثَل".[53]

## 4. التفسير البياني لقوله تعالى:ﱡﱠالخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ

قال تعالى في ختام الآية التي ذكر فيها ما أعدّه للمتقين من جنات وأزواج ورضوان " والله بصير بالعباد " ، ثم ذكر أوصافهم بعدها في آيتين.. أوصاف العباد الذين يَسْتَعْلُونَ على الشهوات، ويُؤْثِرُونَ الآخرة على الدنيا.

يقول ابن عاشور: "وقوله : { الذين يقولون } عطف بيان { للذين اتقوا } وصفهم بالتقوى وبالتوجّه إلى الله تعالى بطلب المغفرة. ومعنى القول هنا الكلامُ المطابق للواقع في الخبرِ، والجاري على فرط الرغبة في الدعاء."[54] وأكد

---

[48] البخاري، 2003، *صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار*، حديث رقم 6183. ومسلم، *صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدا*، حديث رقم 2829.

[49] أبا حيان، *البحر المحيط*، ج2، ص415. والألوسي، *روح المعاني*، ج2، ص99.

[50] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، ج3، ص40.

[51] أبا حيان، *البحر المحيط*، ج2، ص415.

[52] الرازي، *التفسير الكبير*، ج7، ص202.

[53] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، ج3، ص40.

[54] المرجع نفسه، ج3، ص41.

معالم القرآن والسنة
MAʿALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 17, No. 1, (2021), pp. 125-145
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

الجملة بـ "إنّ" مبالغة في الإخبار، ولإظهار أن إيمانهم ناشيء من وفور الرغبة وكمال النشاط.[55] وهذا هو السر من تأكيد الجملة بأمّ أدوات التأكيد.

وصفهم بأنهم يدعون الله ويقولون: "**لى لي مج مح مخ مم مى مي نج**"، فهم موحدون مؤمنون، طالبين من الله أن يجعل ذلك الإيمان سببا للمغفرة إن غلبتهم شهوة من شهواتهم فانساقوا وراءها في بعض الأحيان، ونفهم ذلك من حرف الفاء، (آمنا فاغفر لنا)، ويستطيع المرء أن يلمح من الآية أن هؤلاء العباد المتقين يقرون بإيمانهم ويتشرفون به، ويدعوهم ذلك فورا إلى طلب المغفرة، إذ التقي يعتمد في ذلك كله على الله وحده أولا، كما أنه يعرف نفسه وضعفه وأنه لا بد له من الذنب والخطأ فيطلب مغفرة الله.

كما أنهم وهم يرجون الله أن يغفر لهم يلجؤون إليه كذلك أن يصرف عنهم النار ويقيهم عذابها، وفي ذلك إشارة إلى أنهم يطلبون عون الله ليعينهم في تهذيب شهواتهم، لأنهم يعلمون أن من تَحَكَّمَتْ به شهوته قادته إلى النار. وفي الحديث: "حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات ".[56]

## 5. التفسير البياني لقوله تعالى : **أُأَنخ نم نى ني هج هم هى** ّ

وفي هذا المبحث بيان لهذه الأوصاف الخمسة، وبيان لسر عطفها بالواو.

أ- **في بيان الصفات الخمسة:** هذه الآية الثانية في بيان صفات أولئك العباد الذين يستعلون على شهواتهم، فبعد أن وصفهم بالتقوى والإيمان والالتجاء إلى الله بطلب المغفرة والوقاية من النار، عدّد لهم هنا خمسة أوصاف :

1- " الصابرين " والصبر عن الانقياد للشهوات، والصبر على الاستمرار في تهذيبها وضبطها طيلة الحياة، مطلب ضروري للذين يريدون تهذيب شهواتهم وضبطها.

2- " والصادقين " والصدق مع الله، والصدق مع النفس مطلبان ضروريان كذلك؛ لأن بعض الناس قد يكون غارقاً في الشهوات، غير أنه يكذب على نفسه ويمنيها أنه من أحسن الناس ومن عباد الله المتقين، وما ذلك إلا لأنه يصلي أو يصوم، وهذا الزاد لا يكفي السائرين إلى الله، المريدين تهذيب شهواتهم.

---

[55] أبا حيان الأندلسي، *البحر المحيط*، ج2، ص415. والألوسي، *روح المعاني*، ج2، ص99.

[56] مسلم، *صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها*، حديث رقم 2822.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 17, No. 1, (2021), pp. 125-145
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

3- " والقانتين " والقنوت: " لزوم الطاعة مع الخضوع "[57] وهذه صفة مهمة للذين يريدون تهذيب شهواتهم وضبطها؛ لأن من لا يخضع لله ولا يطيعه، لا ينفّذ أوامره، وتهذيب الشهوات من أوامر الله، فالذي لا يقنت له ستقوده شهواته إلى الهاوية.

4- " والمنفقين " والإنفاق وبذل الأموال المحببة إلى النفوس في سبيل الله، عاملٌ مساعدٌ ومهمٌّ في تهذيب شهوة المال، التي يسيل لعاب كثير من الناس عند تحكمها بهم فلا يملكون معها قراراً، وإن كانت تلك الصفات تعود فائدتها على نفس الإنسان، فهذه تتعدى فائدتها إلى الغير، وبذلك يكون نافعا لنفسه ولغيره .

5- " والمستغفرين بالأسحار " وتلك خاتمة أوصاف العباد الذين يستعلون على شهواتهم، وحُق لها أن تكون خاتمة الصفات؛ فإن الاستغفار في الأسحار فعل المتقين؛ إذ لا يستطيع أحد أن يقوم من فراشه الوثير، في وقت يكون الناس فيه نياماً، لا يراه أحد من الخلق، يقوم ليصلي، ويدعو، ويستغفر، ويناجي الله، إلا رجل قد جاهد نفسه الأمارة بالسوء وانتصر عليها، ومن انتصر على نفسه في هذا الميدان، فحريٌّ به أن ينتصر على نفسه في ميدان الشهوات، وهو بذلك جدير.

يقول أبو حيان: "ولما ذكر أنهم رتبوا طلب المغفرة على الإيمان الذي هو أصل التقوى، أخبر أيضاً عنهم، أنهم عند اتصافهم بهذه الأوصاف الشريفة، هم مستغفرون بالأسحار، فليسوا يرون اتصافهم بهذه الأوصاف الشريفة مما يسقط عنهم طلب المغفرة، وخص السحر بالذكر، وإن كانوا مستغفرين دائماً، لأنه مظنة الإجابة، كما صح في الحديث." [58]

ومن وُفِّق لهذه الأوصاف وتخلّق بها، فإنه سيستعلي على شهواته ويهذبها ويضبطها، ولن يسمح للشهوات أن تتحكم به وتقوده إلى النار، بل سيكون نصب عينه دخول دار السلام، وإرضاء الله ذي الجلال والإكرام.

ولا بد أن نبين الحكمة في ذكر الوصف معرفا بأل دون تعريفه بالاسم الموصول في لفتة جميلة ذكرها الرازي، وهي :" قوله { والصابرين والصادقين... } أكمل من قوله : الذين يصبرون ويصدقون، لأن قوله { الصابرين } يدل على أن هذا المعنى عادتهم وخلقهم، وأنهم لا ينفكون عنها. " [59]

---

[57] الأصفهاني، (n.d)، *المفردات في غريب القرآن*، القاهرة: المكتب التوفيقية، ص413.

[58] أبو حيان، *البحر المحيط*، ج2، ص417. والحديث « ينزل الله حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر " وهو في البخاري باب إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه. حديث رقم 1094 وفي مسلم، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه حديث رقم 168.

[59] الرازي، *التفسير الكبير*، ج7، ص204.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 17, No. 1, (2021), pp. 125-145
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

ب- **العطف بين هذه الصفات، ف**ما الحكمة والسر من العطف بين هذه الصفات، مع أنه سبحانه ترك العطف في قوله : ﴿ٱئخئمئهبجبحبخبمبهتجتحتختمتهثمجحجمحجّ[التحريم:5]

ويقول الرازي: هذه الخمسة إشارة إلى تعديد الصفات لموصوف واحد، فكان الواجب حذف واو العطف عنها كما في قوله { هُوَ الله الخالق البارىء المصور } الحشر : 24 إلا أنه ذكر ههنا واو العطف، وأظن – والعلم عند الله – أن كل من كان معه واحدة من هذه الخصال دخل تحت المدح العظيم واستوجب هذا الثواب الجزيل، والله أعلم.[60]

ويقول صاحب الكشاف: "والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها. "[61]

وأما أبو حيان فاعترض على الزمخشري قوله هذا فقال: "وهذه الأوصاف الخمسة هي لموصوف واحد وهم : المؤمنون، وعطفت بالواو ولم تتبع دون عطف لتباين كل صفة من صفة، إذ ليست في معنى واحد، فينزل تغاير الصفات وتباينها منزلة تغاير الذوات فعطفت ... ولا نعلم العطف في الصفة بالواو يدل على الكمال."[62]

ورد عليه الألوسي قائلا : " وتوسيط الواو بين هذه الصفات المذكورة إما لأن الموصوف بها متعدد، وإما للدلالة على استقلال كل منها وكمالهم فيها، وقول أبي حيان : "لا نعلم أن العطف في الصفة بالواو يدل على الكمال" رده الحلبي بأن علماء البيان علموه وهم هم. "[63]

ويستطيع الباحث الجمع بين هذه الأقوال، فقد يكون العطف لبيان كمالهم في كل واحدة منها، ومن كانت معه صفة من هذه الصفات استحق المدح عليها، وكل صفة مختلفة عن أختها، من حيث إنه قد يتحلى بالصبر من ليس منفقا مثلا، فقد يكون ليس معه ما ينفقه، أو قد ينفق من لا يستغفر في الأسحار لانشغاله بالابتغاء من فضل الله وقد قال تعالى: " علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله ..." . والله أعلم.

## 6. الخاتمة:

في نهاية هذا البحث أحمد الله تعالى أن وفقني لدراسة كتابه وآياته، وشرفني باستخراج درره وآلائه، وأعانني على تفسيره وبيانه. وقد تبين لكل ذي نظر عظمة هذا الكتاب وحكمته، وعظمة منزله وحكمته ذلك، فإذا كان كل حرف وكل كلمة قد وضعت في مكانها، ولا يسد عنها أي حرف أو كلمة أخرى، أفلا يدل هذا على أنه كلام الله

---

[60] الرازي، *التفسير الكبير*، ج7، ص204.

[61] الزمخشري، *الكشاف*، ج1، ص418.

[62] أبو حيان، *البحر المحيط*، ج2، ص417.

[63] الألوسي، *روح المعاني*، ج2، ص101.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 17, No. 1, (2021), pp. 125-145
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

الرب المعبود الواحد، الحكيم الخبير الذي أنزل كتابه هداية ورحمة، ومعجزا تحدى به الجن والإنس جميعا، وتعبدنا بتلاوته وتدبره، فله الحمد على كل ذلك. وأسرد أهم النتائج التي توصلت إليها:

**أولا**: في هذه الآيات المباركات من الأسرار البيانية والبلاغية ما يؤكد على إعجاز القرآن الكريم.

**ثانيا**: جمع القرآن في بيان هدايته بين قوة الفصاحة والبلاغية الداعية إلى إمتاع العقل من ناحية وإفحام الخصم من ناحية أخرى، وبين الأسلوب التربوي العالي الداعي إلى التطبيق ، كالترغيب والترهيب.

**ثالثا**: مزين الشهوات هو الله تعالى، زينها لحكم عديدة منها: إعمار الكون والحياة، وابتلاء واختبارا لعباده، وبني الفعل لما لم يسم فاعله من باب التأدب مع مقام الله.

**رابعا**: الشهوات أمر جبلّي مركوز في الفطرة والطباع سميت كذلك لتوضيح مبالغة الناس في تعاطيها، وبيان الواجب في تهذيبها.

**خامسا**: اهتم القرآن بموضوع الشهوات في الآيات المكية والمدنية، وفي سياق الدنيا والآخرة.

**سادسا**: بينت آية آل عمران أنواع الشهوات وهي النساء والبنين والأموال، وهي الأشد خطرا وانتشارا وليس ذلك للحصر.

**سابعا**: قدم القرآن شهوة النساء لأن الالتذاذ بهن أكثر والفتنة بهن أشد، وثنى بالبنين مقدما لها على الأموال لقوتها من حيث هي شهوة.

**ثامنا**: خص القرآن بالذكر شهوة الرجال للنساء من باب التغليب وحفظا لكرامة المرأة وإحساسها، وخص البنين بالذكر للتغليب أيضا ولأن وجه التمتع بهم والتكثر ظاهر أكثر.

**تاسعا**: عبر القرآن عن شهوة المال بالقناطير المقنطرة للدلالة على أن الشهوة ليست لمجرد حب المال، وإنما لتكديس الأموال وكثرتها دون النظر إلى الحاجة والمنفعة. والأصناف المذكورة لشهرتها وقد يوجد غيرها.

**عاشرا**: بينت الآيات التي بعد آية الشهوات ما هو خير منها، وهو الجنات والأزواج فيها ورضوان الله، وتلك دعوة إلى التزهيد بها لتهذيبها والترغيب بما عند الله، ثم ذكرت أوصاف العباد التي من وفق لها فإنه يعان للاستعلاء عليها وتهذيبها وضبطها.

وهذا الجهد المتواضع الذي بذلته في هذا البحث هو جهد المقل، فما كان من توفيق فمن الله، وما كان من خطأ أو نسيان فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريئان. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 17, No. 1, (2021), pp. 125-145
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

## REFERENCES (المصادر والمراجع)

[1] Al-'Ālūsī, Maḥmūd Al-Baghdādī (n.d). *Rūḥ Al-Maʿānī fī Tafsīr Al-Qur'an Al-ʿaẓīm wa Al-Sabʿi Al-Mathānī,* Beirut, Dār Iḥya' Al-Tturāth Al-ʿrabī.

[2] ALandalusi, Abu Hayan: Muhammad ibn Yusuf. (2007). *Tafsir Albahr Almuheet*, tahqiq: Sheikh Adel Ahmed Abdel-Gawad and Sheikh Ali Muhammad Moawad, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Alami, 2st.

[3] Al-Aṣfahānī (n.d). *Al-Mufradat fī Gharīb Al-Qur'an*, Cairo, Al-Maktaba Al-Ttawfeqiyya.

[4] Al-Askary, Abu Hilal Alhasan bin Abd Allah (n.d.), *Alfuruq fi Allugha*, Tahqiq: muhammad Ibrahim Salim, Dar Alilm wa Althaqafat linnashr wa Altawziei, Alqahira - Misr.

[5] Al-Bukhārī. (2003). *Ṣaḥīḥ Al-Bukhārī*, Egypt, Maktaba Al-Īmān.

[6] Al-Dimiati, Shihab al-Din Ahmad bin Muhammad bin Abdul-Ghani, al-Banna. (1989). *Ithaf fudalaa albashar fi alqiraat alarbata ashar*, Beirut, Dar alkutub alilmyyah.

[7] Al-Qurtubī. (1967). *Al-Jāmiʿ li Aḥkam Al-Qur'ān*, Cairo, Dār Al-Kitāb Al-ʿarabī.

[8] Al-Rrāzī (n.d). *Al-Ttafsīr Al-Kabīr*, Ṭehrān, Dār Al-Kutub Al-ʿilmiyya.

[9] Al-Shshaʿrāwī, Muḥammad Mitwallī (n.d). *Tafsīr Al-Shshaʿrāwī*, Maṭbaʿa Akhbār Al-Yawm.

[10] Al-Ṭṭabarī. (1978). *Jāmiʿu Al-Bayān fī Tafsīr Al-Qur'ān*, Beirut, Dār Al-Maʿrefah.

[11] Al-Zzamakhsharī (n.d). *Al-Khashshaf*, Beirut, Dār Al-Maʿrefah.

[12] Hawwa, Saeed. (1985). *Alasas fi Alttafsir*, Cairo, Dar Al-Salam.

[13] Ibn ʿāshūr, Muḥammad Al-Ṭṭāhir. (1997). *Al-Ttaḥrīr wa Al-Ttanwīr*, Tunis, Dār Saḥnūn.

[14] Ibn Kathir. (1969). *Tafsīr Al-Qur'ān Al-ʿaẓīm*, Beirut, Dār Iḥya' Al-Tturath Al-ʿarabī.

[15] Qutub, Sayyid. (1971). *Fī Ẓilāl Al-Qur'ān*, Beirut, Dār Īḥya' Al-Tturāth Al-ʿarabī,7st.

[16] Ridā, Muḥammad Rashīd, *Tafsīr Al-Manār*, Alhayʾa Almiṣriyya lilkitāb, 1990.

[17] Muslim. (2001). *Ṣaḥīḥ Muslim*, Beirut, Dār Al-Fikr.